



أنقلاب الرموز

اياً تكن المقاييس، انها لحظات استثنائية تلك التي بدأ يعيشها الشرق الاوسط في ترقبه زيارة الرئيس الاميركي بيل كلينتون اراضي الحكم الذاتي الفلسطيني. ولا يهم عند هذا الحد ان بقي كلينتون على قراره الهبوط في مطار غزة بطائرته الرئاسية او فضل السفر على متن طوافة. ففي معزل عن القيمة المضافة التي سيختار الرئيس الاميركي ان يعطيها او لا يعطيها لمطار غزة وللسيادة الفلسطينية، ما شهدناه حتى الآن من تحضيرات كاف للتعبير عن حجم الانقلاب الذهني الحاصل. تصوروا! شوارع غزة تزدان بالاعلام الاميركية! قطعاً لا مثيل لمثل هذا التحول الرمزي، ولا حتى في زيارة سابقة لاحد اسلاف كلينتون، ريتشارد نيكسون، الى مصر وسوريا في ايار ١٩٧٤. فعندما جاء نيكسون، وهو يجاهد وقتئذ لانقاذ ما بقي من رئاسته (كان ذلك قبل ثلاثة اشهر من استقالته المهينة)، كان يسهل على معارضي السلام الاميركي اتهام الولايات المتحدة ورئيسها بالسعي الى تحوير مسار المواجهة العربية، تتويجاً لما فعله هنري كيسينجر مع انور السادات ابان حرب تشرين.

لا شيء من هذا القبيل مع كلينتون. اولاً لأنه ليس في حاجة الى انقاذ رئاسته، بعدما اجتاز بنجاح فضيحة مونيكا غايت بخلاف نيكسون ووترغيت. وثانياً لأن خيار المواجهة العربية اسقط منذ زمن بعيد، وتحديداً منذ زيارة نيكسون تلك، فلا حاجة الى تحويره. على العكس من ذلك، كل ما يمكن اتهام كلينتون به هو محاولته انتشال طرف عربي من الغرق الذي تريده له اسرائيل. بالطبع، لم تبلغ الارادة الاميركية في انقاذ الحكم الذاتي الفلسطيني حد التأييد العلني لتحوله دولة عند انتهاء المرحلة الانتقالية المنصوص عليها في اتفاق اوسلو، ناهيك بتخلف الولايات المتحدة عن احترام مواقفها المبدئية (والمعبر عنها في عدد من قرارات الامم المتحدة خلال نصف القرن المنصرم) سواء في ما يتعلق بالقدس او بحق العودة، حتى لا نتحدث عن الدعم المستمر للتفوق الاسرائيلي الاستراتيجي على القوى العربية مجتمعة.

الا ان تمسك واشنطن بوضعية الحليف الاستراتيجي الدائم لاسرائيل، وهو ما يعيه اي طفل فلسطيني وعربي، لا يخفف من حجم التبديل الرمزي الذي يعبر عنه نشر الاعلام الاميركية في غزة الفلسطينية، وان يكون يطرح جدياً مسألة في غاية الدقة، هي طبيعة العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل. منذ عقود، يقوم تباين جوهري بين الساسة العرب حول تحديد طبيعة التحالف بين اميركا والصهيونية. من يسعى الى مهادنة الولايات المتحدة يعمد دوماً الى اتهام "اللوبي الصهيوني" بتسيير السياسة الاميركية، فيما ظل خطاب آخر، يساري النفحة، يصر على ان اسرائيل رأس حربية الامبريالية الاميركية في الشرق الاوسط بعدما كانت الصهيونية اداة الامبريالية البريطانية بين الحربين. بالتأكيد، النظريتان تبسّطيتان بدليل ما يحصل الآن.

فلا اللوبي الاسرائيلي ضعف ولا هي الولايات المتحدة تخلت عن منطق الهيمنة (لننظر الى ما حصل في العراق). لذلك، لا بد من العودة الى الفتح المفاهيمي الذي قام به الباحث الفلسطيني كميل منصور عندما تحدث في كتاب مرجع عن علاقة هي "ابعد من التحالف"، تستمد مقوماتها من



الرغبة الاميركية في الهيمنة ومن وجود لوبي صهيوني في واشنطن، ولكنها تستند ايضاً، في ما هو اعرق من السياسة والديبلوماسية، الى مجموعة من "القيم" المشتركة، او لنقل تبسيطاً، الى نظرة "حضارية" واحدة. لكن ما حصل منذ الانتفاضة ومع تحول المثقفين الفلسطينيين الى ضيوف دائمين على شبكات التلفزة الاميركية، وان بدرجات اقل بكثير من دعاة الصهيونية، ادى على ما يبدو الى خلخلة لهذه النظرة المشتركة. اذ عرف الفلسطينيون، على غرار مناضلي جنوب افريقيا، ولكن بصعوبات اكبر، كيف يُدخلون قضيتهم في "سلم القيم" الاميركية. ليس هذا كافياً طبعاً لموازاة العاملين الميكانيكيين في علاقة "ما بعد التحالف" الاميركية - الاسرائيلية، وهما التعاون الاستراتيجي وضغط اللوبي الصهيوني. لكنه جدير على الاقل بأن يخفف من حدة... السلام الاميركي كما مارسه الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٤.

سمير قصير



Id-Reference	98-Pr-000339	
Media	(Support)	HC
Title		انقلاب الرموز
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تنمة ١٦
Date		الجمعة ١١ كانون الأول ١٩٩٨ 11/12/1998
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	بيل كلينتون - ريتشارد نيكسون، لوبي صهيوني - هنري كسينجر - أنور سادات - كميل منصور
	Locations	فلسطين - اسرائيل - ولايات متحدة - غزة - شرق أوسط - عراق - واشنطن - جنوب افريقيا
	Dates	1974
	Themes	اسرائيل - ولايات متحدة - سياسة أميركية - علاقات فلسطينية أميركية - علاقات اسرائيلية أميركية - اتفاق اوسلو - شرق أوسط - حكم ذاتي - فضيحة مونيكا غايت - صهيونية - بيل كلينتون - فلسطين - مطار غزة - سلام - حرب تشرين - لوبي صهيوني
Subject		